Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لئن كنت قد بُلِّغتَ عنى وشاية لمبلغُك الواشى أغشُّ وأكذبُ

وقول «لبيد بن ربيعة» فى الجاهلية، قبل إسلامه:

بَلِينا وما تَبلى النجوم الطوالعُ وتبقى الديار بعدنا والمصانع
وما المرءُ إلا كالشهاب وضوئه يحور رمادًا بعد إذ هوَ ساطع
وما المال والأهلون إلا ودائع ولا بد يومًا أن تُردَّ الودائع

* * *

وكانت حرمة البيت العتيق تفرض على العرب جميعًا حرمة حماه فى أم القرى، ورسخ فى اعتقادهم «أن مكة لا تقر فيها ظلمًا ولا بغيًا، ولا يبغى فيها أحد على أحد إلا أخرجته، ولا يريدها ملكٌ يستحل حرمتَها إلا هلك مكانه. فيقال إنها ما سميت «بَكَّةَ»، إلا لأنها كانت تبك - تكسر - أعناق الجبابرة إذا أحدثوا فيها شيئًا»[1].

وبلغ من حرمة مكة عند القوم، أن تناقلت الأجيال إلى عصر المبعث ما أسنده ابن إسحاق من حديث السيدة عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها، قالت:

«ما زلنا نسمع أن أسافا ونائلة - من أصنام العرب فى الجاهلية - كانا رجلًا وامرأة من جرهم، أحدثا فى الكعبة فمسخهما الله تعالى حجرين»[2].

ويذكر الرواة من أقدم تاريخها المعروف لنا، أن نبع زمزم لما انبثق لإسماعيل استأذنت قافلة من جرهم، - من عرب الجنوب العاربة الرُّحَّل - السيدة هاجر أم إسماعيل عليه السلام فى النزول معها حول نبع زمزم. فأذنت لهم، والماء ماؤها. وشب إسماعيل وتعرب فى جرهم وأصهر إليهم، «ثم إن جرهما بغوا بمكة واستحلوا خِلالًا من حرمتها فظلموا مَنْ دخلها من غير أهلها وأكلوا مال الكعبة الذى يهدى إليها، فلما رأت ذلك بنو بكر من كنانة، وبعض بنى خزاعة، أجمعوا لحربهم، وإخراجهم من مكة، فاقتتلوا فغلبتهم بنو بكر وخزاعة، فنفوهم من مكة، وكانت مكة فى الجاهلية لا تقر فيها ظلمًا، ولا بغيًا ولا يبغى فيها أحد إلا أخرجته، ولا يريدها ملك يستحل حرمتها إلا هلك مكانه، فيقال إنها ما سُميت «بَكَّة» إلا لأنها كانت تبك أعناق الجبابرة إذا أحدنوا فيها.

---

(١)، (٢) السيرة لابن اسحاق، الهشامية: الجزء الأول. وانظر معه (الروض الأنف) للسهيلى: ١/٢٧ ط الجمالية بالقاهرة.